رسالة في علم الاخلاق للقاضي عضد الدين

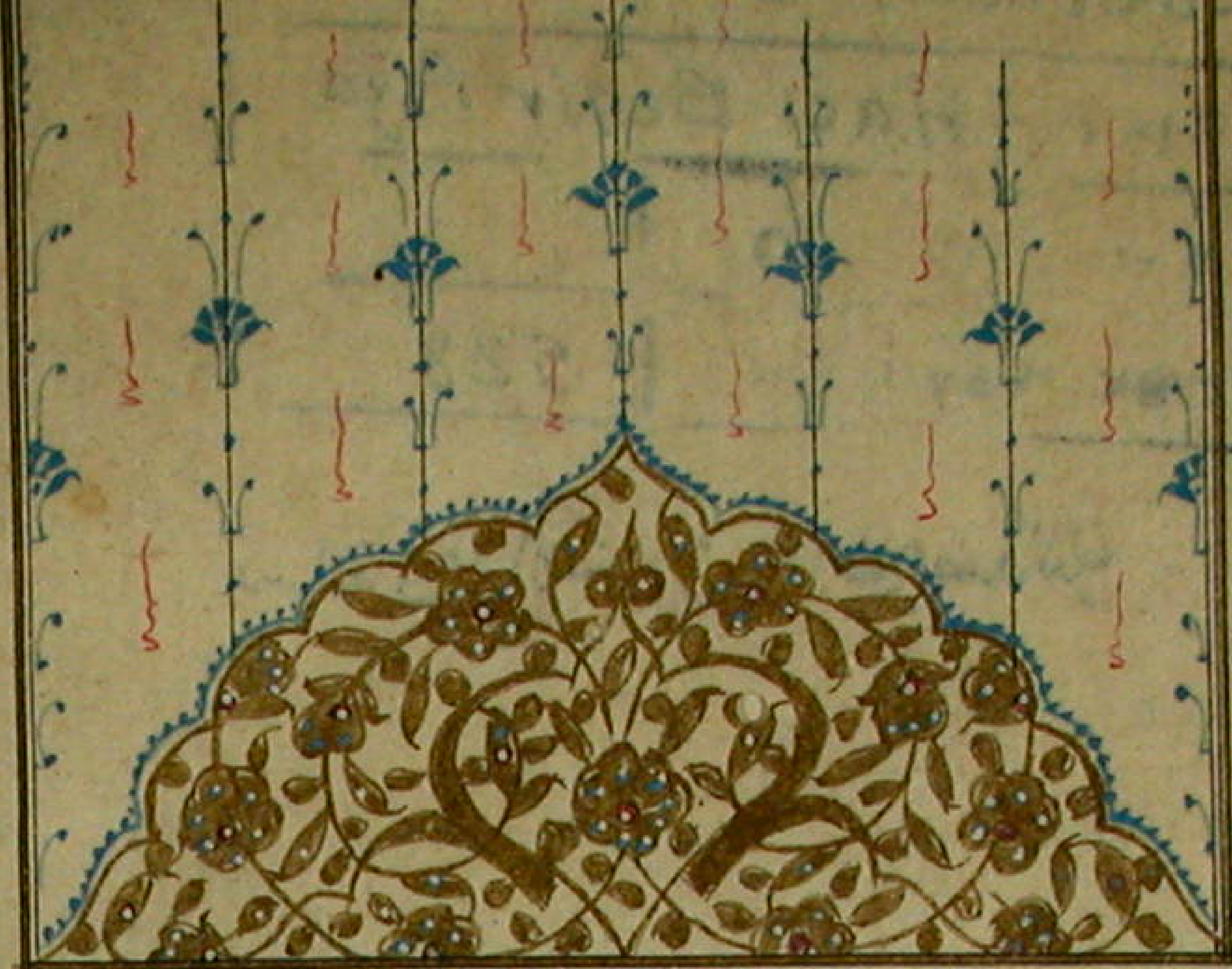
١٥

الم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك ان ترضى وفينا معذب
من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين حاجي بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٣

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير اغا دار السعادة
الشريفة السلطانية
وعتيقه
وقف







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نواله والصلوة على نبيه محمد وآله وبعد
فهذا مختصر في علم الاخلاق رتبته على اربع مقالات
المقالة الاولى في النظري منه الخلق ملكة يصدر عنها
الافعال النفسانية بسهولة من غير روية ويمكن تغيرها
بالتجربة ولورود الشرع به واختلاف العقلاء ويختلف
الاستعدادات فيه بحسب الامزجة وقوى النفس ثلاث
النطق فاعتدالها الحكمة وافراطها الجربزة وتفريطها
الغباوة والغضب فاعتدالها الشجاعة وافراطها التهور
وتفريطها الجبن والشهوة فاعتدالها العفة وافراطها
الفجور وتفريطها الجمود والفضائل هي الاواسط فهي
ثلثة والاطراف رذائل فهي ستة هذه بحسب الكمية

ومنها

ومنها رداءة الكيفية اما في الحكمة فكمن يتعلمها المجاراة
العلماء ومماراة السفهاء واما في الشجاعة فكمن يمارسها
للصيت والغنيمة واما في العفة فكمن ترك اللذة ويقصد
اعتياض اكثر منها في الاخرة او الجاه في الدنيا وانما هي
فضائل اذا لم يشبها غرض وصدرت بلا روية لانها
خير وكمال ثم لكل فضيلة شعب فللحكمة سبع صفا
الذهن استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا تشويش
جودة الفهم صحة الانتقال من الملزوم الى اللازم
الذكاء سرعة اقتداره النتائج حسن التصور البحث
عن الاشياء بقدر ما هي عليه سهولة التعلم قوة النفس على
درك المطلوب بلا زيادة سعي الحفظ ضبط الصور المدركة
الذكر استحضار المحفوظات وللشجاعة احدى عشرة كبر
النفس استحقار اليسار والفقر والكبر والصغر عظم
الهمة عدم المبالات بسعادة الدنيا وشقاوتها الصبر
قوة مقاومة الالام والاهوال النجدة عدم الجزع عند



المخاوف، الحلم الطمأنينة عند سورة الغضب، السكون
التأني في الخصومات والحروب، التواضع استعظام ذوي
الفضائل ومن دونه في المال والجاه، الشهامة الحرص على ما
يوجب الذكر الجميل من العظائم، الاحتمال إتعاب النفس في
الحسنات، الحمية المحافظة على المحرم والدين من التهمة،
الرقة التأذي عن أذى يلحق الغير، وللعفة احدى عشرة الحياء
انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح، الصبر حبس النفس
عن متابعة الهوى، الدعة السكون عند هيجان الشهوة
النزاهة اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم وانفاقه في
المصارف الحميدة، القناعة الاقتصاد على الكفاف، الوقار
التأني في التوجه نحو المطالب، الرفق حسن الانقياد لما يؤدي
الى الجميل، حسن السمت محبة ما يكمل النفس، الورع ملازمة
الأعمال الجميلة، الانتظام تقدير الأمور وترتيبها بحسب المصالح
السخاء إعطاء ما ينبغي وهذا تحته ستة انواع، الكرم الإعطاء
بالسهولة وطيب النفس، الايثار ان يكون مع الكف عن حاجاته

النبل ان يكون مع السرور، المواساة ان يكون مع مشاركة
الاصدقاء، السماحة بذل ما لا يجب تفضلاً، المسامحة ترك
ما لا يجب تنزهاً، والعدالة اسم ما يجمع سائر الفضائل ولها
شعب [اربعة عشر]، الصداقة وهي محبة صادقة بحيث لا يشعر بها غرض
ويؤثره على نفسه في الخيرات، الألفة اتفاق الآراء في
المعاونة على تدبير المعاش، الوفاء ملازمة طريق المواساة
ومحافظة عهود الخلطاء، التودد طلب مودة الأكفاء
بما يوجب ذلك، المكافاة مقابلة الاحسان بمثله او زيادة
حسن الشركة رعاية العدل في المعاملات، حسن القضاء
ترك الندم والمن في المجازاة، صلة الرحم مشاركة ذوي
القرابة في الخيرات، الشفقة صرف الهمة الى ازالة المكروه
عن الناس، الاصلاح التوسط بين الناس في الخصومات
بما يدفعها، التوكل ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر
التسليم الانقياد لامر الله وترك الاعتراض فيما لا يلائم
الرضاء طيب النفس فيما يصيبه ويفوته مع عدم التغير

العبادة تعظيم الله واهله وامتثال اوامره **المقالة الثانية**
فى حفظ الاخلاق واكتسابها من حصل له فضيلة بكسب او
طبع فليحفظها بملازمة اهلها وعدم صحبة الاشرار واياه
والاسترسال فى الملاهى والمزاح والمراء وليروض نفسه
بوظائف عملية وفكرية فليذكر الاخرة وجلالتها ودوامها
وصفاءها وحقارة الدنيا وزوالها ونكدها ويختار من
الاصدقاء من ينبه على عيبه ويتفحص قول اعدائه فيه
ويعلم منه عيوبه فيتركها وينظر فى معائب الناس فيتجنبها
وان رأى فتورا طوعها بالرياضات الصعبة ومن حصل له
مرض فليعالجه بارتكاب الفضيلة المقابلة ثم التعنيف ثم
الرذيلة المقابلة فليحفظ حتى لا يتجاوز الى الطرف الاخر ثم
الرياضات الشاقة ولنذكر امراضا جزئية يكثر وقوعها مع
علاجها **الحيرة** سببها تعارض الادلة وعلاجها ممارسة
القوانين العقلية **الجهل البسيط** اصحابه كالانعام لفقدهم
ما به يمتاز الانسان عنها بل هم اضل لتوجهها نحو كمالاتها

ويعالج بملازمة العلماء ليظهر له نقصانه عند محاوراتهم
الجهل المركب ان قبل العلاج فملازمة الرياضيات ليطعم
لذة اليقين ثم التنبيه على مقدمة مقدمة بالتدريج والغضب
بنفى اسبابه وهى العجب والتكبر وهما بديع ممن جرى مجرى البول
مرتين وهو ميت غدا ويحتاج الى ابناء جنسه والافتخار
ابدع منهما لانه بفضيلة الغير ويعرف قلة اعتباره بالسفر
الى حيث لا يعرف والمراء واللجاج وهما قاطعان للنظام والمزاح
والاستهزاء وهما مع قلة الفائدة مسلبة للبهاء ومجلبة
للاعداء وقاطع للنظام ومن عجز عن الاقتصاد فى المزاح
فليتركه والغدر والضيم وهما لمتاع الدنيا وهو قليل وليفرض
من غيره معه يعرف قبحه وطلب ما يتنافس فيه من الجواهر
ومع حقارتها يكثر العدو ولا تغنى عند الحاجة شيئا وان بقيت
لك لم تبق لها **واما الغضب** بعد الاهتياج فصعب لستره
العقل بدخانه المظلم وكلما قرب منه يكون كالوقود له
وربما ينفع تغيير الهيئة وشرب الماء البارد والنوم وقد يكون

من الشهوة اذا منعت وربما ردأت كيفيته حتى شتم البهايم
والجمادات ومشاهدة هذه الافعال واستهجانها من غير
تنبيه على قبحها والجبن يتبعه الذل والاختلال وانهتاك
الحرمة وعلاجه الخوض فى المخاوف والاقدام على المعاطب
وذكر وجوب الموت والخوف بترك سببه ان امكن والا
فالتوطين والحرص بالتفكر فى مشاركة الحيوانات وقلة لذتها
وقصر مدتها وخساسة المطالب واستخراج حكم القوة
الشهوية واجالة الرأى عند تسويلات النفس والاشتغال
بالعمليات وغيرها مما يلهى عنها والاجتناب مما تعدى بها
البطالة مقتضاها هلاك النفس والبدن وهى مشبهة بالجماد
وابطال الحكمة فليجانس ارباب الجد فليتامل آثاره وليسمع
حكاياتهم ومذمة اهل الكسل وسوء عاقبتهم وما يجره
البطالة من الاشتغال بما لا يعنى الحزن منشاؤه توقع حصول
جميع المطالب وبقائها وهو جهل فليتوجه الى الباقيات
الصالحات الحسد منشاؤه الحرص والجهل بان استيعاب

جميع الخيرات ممتنع واثره الحزن الدائم وشره ما بين العلماء
اذ حظ واحد لا يتوقف على حرمان الاخر الغبطة طلب
حصول الخير مع عدم الزوال عن الغير وهو فى الاخروية
محمود وفى الدنيوية حرص الطمع ذل ينشأ من الحرص
والبطالة والجهل بحكمة الله تعالى فى الحاجة الى التعاون
الحقد يزول بتصور الاخوة الحقيقية الكذب وهو شر
من عدم النطق لافادته اعتقادا غير حق وربما جلب مضار
فليتذكر تبعاته من المذمة وعدم الاعتماد والاستخفاف
ومنه ومن العجب ينشأ الصلف ومنه النفاق المقالة
الثالثة فى سياسة المنزل والنظر فى امور اربعة المال
والنظر فى الدخل والحفظ والخرج اما الدخل فما يتعلق بالتدبير
التجارة والصناعة ادوم واقل آفة ويجب فيه مراعاة
العدل والمروءة واما الحفظ فبكون الخرج اقل من الدخل
بلا تقصير وبالاستثماد والمتمول يقسم امواله بين نقد
ومتاع وعقار للاحتياط واما الخرج فما كان فى سبيل الله

فليجتنب فيه الكراهة والمنّ والأذى والرّياء وليخصّ من
يكتم فقره وما كان فى مروءة فالتعجيل والسّر والتحقير
والمواصلة واختيار المصنع وما كان للضّرورة من دفع
سفيه او جلب نفع فالاقتصاد على الضّرورة واما ما كان
للحاجة فالاقتصاد والميل الى السّرف الثّانى الزّوجات
ليطلب بالتّأهّل النّسل ونظام المنزل لا لمجرّد الشّهوة
والعقل والعفّة والحياء لا بدّ منها وان زاد النّسب
والجمال والمال فاولى واما الجمال المفرط فكلّا لكثرة طلا
وضعف عقولهنّ وكذا مجرّد المال ويجب ايقاع الهيبة فى
نفسها باظهار الفضائل وستر العيوب وقلّة الانبساط
ويزينها بما يناسب ومشاورتها فى الجزئيّات وتحكمها
فى المنزل واكرام اقاربها ودفع الغيرة عنها وشغل
خاطرها بامور المنزل وليجتنب فرط محبّتها وان ابتلى
بها فليستره ولا يطلعها على اسراره ولا يشاورها فى
الكلّيّات ويستر عنها مقدار ماله ويجنبها عن الملاهى

ومجالسة العجائز وعلى النّساء العفّة واظهار الكفاية
والخشية وحسن التبعّل وقلّة العتاب ومن احسّ منها
الفساد فليتركه البتّة الثّالث الخدم وهم كالاعضاء للمنزل
فلينظر فى حال الكلّ واصلاحها ثمّ فى حال كلّ واحد وليهيّئ
معائشهم ويتعرّف احوالهم ولا يخليهم فى لطف بلا
وعنف بلا ظلم ولا يبالغ فى العقاب ويعيّن لكلّ شغلا
ولا يكلّفهم فضل مشقّة والعبد اولى الرّابع الولد يحسن
تسميته ثمّ ترضعه معتدلة المزاج حسنة الاخلاق
ويحفظ اخلاقه ويداوى بما مرّ وليكن مخالطوه من اهل
الخير وليشغل بصناعة يستعدّ لها وليؤمر بتكميلها
والاكتساب بها واما الولد فيعلم انّ والداه موجداه
وربّاه القريبان بل احتياجهما يوجب زيادة العناية بهما
فيبذل فى الرّضا والمحبّة والطّاعة والاحسان غاية الامكان
والمعلّم ربّه المكمّل له الذى افاض عليه الصّورة الانسانيّة
والحيوة الابديّة المقالة الرّابعة فى تدبير المدن الحاجة

الى التعاون اوجبت التمدن وخيرها ما كان عن محبة وهي اما
للخير او للنفع او اللذة او مركب منهما وقد يتساوى الطرفان
وقد يختلفان ودوامها بحسب ذلك واركانها مالك ومملوك
وامثال اما المالك فينبغي ان يكون اصيلا عالي الهمة متين
الرأي ثابت القدم صبورا موسرا ذا اعوان ولا يظفر الاصحاب
دين او ثأر وعليه ثلثة امور تعديل ارباب القلم والسيف
والمعاملة والمزارعة فلا يمكن احدها من الغلبة على الباقي
تعظيم الاخيار وتقويتهم ومنع الاشرار وتأديبهم بالزجر ثم
الحبس ثم قطع آلة الشر واما القتل فلا الا مامر به الشرع
التسوية بينهم في الرزق والكرامات وتيسر ذلك بالزام
الشرع وسهولة الحجاب وحفظ الثغور وامن الطريق ومداومة
الفكر وترك اللذات ومشاورة اولي العقل والنهى واما المملوك
فعليه غاية التعظيم والامتثال والملازمة بلا املال والتزيين
والمدح الا اذا المنزلة في الخلوة والرفق في تغيير رأيه والكتمان
لاسراره واجتناب دباب التهمة والشفاعة فيهم والايثار له

بكل حظ والموافقة في كل شئ وترك الحرص ولينتفع بالامنة
وليظهر ان ماله ودمه مبذول وليجعلهما في زينته ولا
يشاركه فيما يختص بامثاله وليحترز عنه عند غضبه ولا
يتشكى منه ولا في ضميره وليتحبب اليه بتواصل الخدمة
وان جعله اخا جعله دبا وليتوق عن خصومة بالاستقامة
ولا يضطرب بما يقال فيه ولا يداخل فيما يستره عنه ولا
يسارّ بحضرته ولا يطلب التقدم على الاقدمين واما الامثال
فثلثة الاصدقاء فيحسن اليهم ويداريهم ويهش معهم
ويتعهد متعلقيهم ويعاونهم ويكافيهم بالخير ويتجاوز عن
ذنوبهم ويقل عتابهم الا اذا تيقن الاستصلاح ويكتم السر
والمال منهم هذا كله في الصديق الغير الحقيقي واما الحقيقي
فيسقط منه التكلف فانه نفسه والاعداء يعفو عنهم
ويداريهم ويشكوهم الى الرؤساء ليعرفوا عداوتهم ولا يقبلوا
قولهم ويتجسس عن عزائمهم ومعائبهم ويخفيها ويلازم
الصدق والعدل ويخالط خلطاءهم ولا كالسبق عليهم

فى فضيلة وأمّا الطّعن والشّماتة والشّتم فحاشا وإذا
اعتمد عليه فلا يخونه ويدفع ضررهم بالاستئصال ثمّ
الاجتناب ثمّ القهر بلا ظلم ولا رذيلة والمعارف فيجب
الرّفد وحسن المحضر مع الكلّ والتكبّر مع المتكبّر وإكرام
النّصحاء وأهل الصّلاح والاستفادة من الفضلاء
ومساعدتهم بالمال والخدمة لهم وتهذيب أخلاق المتعلّمين
والشّفقة عليهم وإعطاء السّائل إلّا إذا ألحّ أو طمع
غير محتاج ورحم الضّعفاء والإحسان إليهم وقضاء
حوائج النّاس ما أمكن ولزوم العادات من التّعازى
والتّهانى والعيادات وإظهار الفرح
لفرحهم أو الغمّ لغمّهم بحيث لا يخرج
الحدّ النّفاق والله أعلم



